فلسطين واشهر آثارها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

ان رضى القراء عن هذه الفصول المتتابعة في وصف الاثار المشهورة في فلسطين يمنعنا من اختصارها حرصاً على فوائدها لان القارىء الذي لم يزر فلسطين وتلك الاماكن المقدسة عند الامم الثلاث يراها ماثلة امامهُ كانه يشاهدها بعيني راسه لا سيما وان واصفها الفاضل ممن صرفوا عمرهم بالتنقل بينها ودرس شؤونها

طريق اريحا

اريحا واقعة على مسافة نحو ستة عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من القدس . وطريقها طريق مركبات تدور من وراء سور المدينة من جهة الشمال بين محجر سليمان الى اليمين وهو مغارة كبيرة قطع منها سليمان الحجارة للهيكل ولقصره لها باب صغير في حائط السور وتمتد كثيراً الى الداخل تحت ابنية المدينة . ولم تزل آثار الاسافين والازاميل ظاهرة في اماكن كثيرة في جدرانها — وبين مغارة ارميا الى اليسار والارجح انها قسم من محجر سليمان

ثم تنحدر الطريق فنقطع وادي قدرون الفاصل بين جبل موريا وجبل الزيتون عند كنيسة العذراء في بطن الوادي الى يسار الطريق . وقد ذكرها اركولفوس في سنة ٦٩٧ م اما مارينوس سناتوس فيظن انها بُنيت في الاعصر المسيحية الاولى وانها توارت بخرابات المدينة في عهد ادريانوس . اما البناء الحالي فقد بنته امراءة فولك انجو رابع ملوك القدس من الصليبيين . ويُنزل اليها بسبع واربعين درجة وفيها قبرا يهوياكيم وحنة نُقلا اليها في القرن الخامس عشر وقبرا يوسف والعذراء . والى جانبها بئر قديمة منقورة في الصخر يقال انها مغارة الآلام . ثم ترى بستان جثسيماني الى اليسار . وفي الوادي تحت الطريق الهرم المسمى تارة طنطور ابشالوم واخرى طنطور فرعون . ويرشقه اليهود بالحجارة لما يمرون بجانبه ازدراء بعصيان ابشالوم علي ابيه . وقد ترجح انه قبر اسكندر جانيوس احد امراء الحشمونيين . وفي الوادي ايضاً توجد مغاور منحوتة في الصخر وهي مدافن قديمة كانوا ينسبونها في كل قرن الى قوم آخرين من الانبياء والاولياء والرسل الى ان اقتاد البحث عنها المسيو دي فوكوه الى اكتشافه كتابة بالاحرف العبرانية من الشكل المربع تتضمن اسماء عشرة انفار من عشيرة بني حزير الذين كانوا من رؤساء الكهنة في ايام الحشمونيين وهيرودس

وبعد ذلك تمتد الطريق الى قرية اللعازرية

﴿ قرية اللعازرية او بيت عنيا ﴾ تبعد نحو ميلين عن القدس وهذه المسافة هي عين الخمس عشرة غلوة التي يذكرها يوحنا في انجيله . والبلدة واقعة في بقعة خصيبة في الجهة الجنوبية الغربية من سفح جبل الزيتون عدد سكانها نحو ثلثمائة نفس من المسلمين وهي « بيت عنيا » التي كان المسيح يتردد عليها والتي تعشى فيها مع صديقه لعازر وفيها مُسحت رجلاه بطيب الناردين . وفيها بنت ماليسدا امراة فولك التي مر ذكرها في المكان المزعوم انه بيت لعازر ديرًا للراهبات ربما خرب في القرن الثالث عشر . وبالقرب منه من جهة الغرب بقايا برج روماني شاهق

اما قبر لعازر فهو على مسافة قريبة الى الشمال من البرج في مغارة سفلية يُنزل اليها باربع وعشرين درجة . واما الكنيسة التي ذكر جيروم في القرن الرابع بانها كانت مبنية فوقه فقد ذكرها اركولفوس في القرن السابع ايضاً . وقال احد كتبة القرن الخامس عشر بانه شاهدها محوَّلة الى جامع

وقد رجحت الاقوال على كون بيت سمعان الابرص واقعاً بالقرب من هذا القبر من جهة الشرق . والله اعلم

ويزعمون ان مريم ومرثا اختي لعازر لاقتا المسيح الى مسافة نحو ميل الى الجنوب من بيت عنيا حيث جلس ليستريح على حجر هناك . فاحاط الارثوذكسيون ذلك الحجر بدير

﴿ عين الرسل ﴾ ومن اللعازرية تنحدر الطريق في منعطفات كثيرة الى واد عميق فيه نبع ماء يُدعى الحوض وقد سماها الصليبيون عين الرسل لاعتقادهم ان تلاميذ المسيح استراحوا عندها وشربوا منها في طريقهم من اريحا الى القدس . ولا يبعد ان هذه العين كانت كما هي الان محل استراحة المسافرين لانها العين الوحيدة على هذه الطريق . وقد بنت الحكومة بجانبها نزلاً صغيرًا لهذه الغاية . ولم يختلف الرواة في كون هذه العين هي عين شمس (يشوع ١٥ : ٧ — ٨) الواقعة على الحد بين يهوذا وبنيامين

﴿ عقبة الدم ﴾ وبعد نحو ساعة تصل الطريق الى عقبة الدم وهذه ايضاً على الحد بين يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥ : ٧ — ٨) قال بعضهم ان اسمها اشتق من لون اديمها الاحمر المشابه لون الدم . وقال البعض الآخر بل من كثرة الدماء التي اهرقها اللصوص فيها لانها كانت قديماً مكمناً لا يخلو من اللصوص . وفي راسها خان بنته حكومة القدس ايضاً . ويعتقد الجمهور ان الفندق الذي قال المسيح ان السامري وضع فيه ذاك الذي ضربه اللصوص وجرحوه وعروه وتركوه بين حي وميت (لوقا ١٠ : ٣٠ — ٣٧) كان قائماً في موضع هذا

الفندق بدليل ان هذا الخان واقع في منتصف الطريق بين القدس واريحا وبحماية القلعة التي بناها الرومانيون وعززوها بحامية من الجند لحماية هذه الطريق الممتدة بين جبال اليهودية الجدباء

وآثار هذه القلعة لم تزل مشهورة على تل واقع على مسيرة ٥ دقائق الى الجنوب الشرقي من الخان . وهي تشرف على القسم الكبير من الطريق وقد ذكرها يوسيفوس باسم « داغون » وقال ان بطليموس لجأ اليها بعد ما قتل حميه سمعان المكابي . ودعاها الصليبيون القلعة الحمراء

﴿ وادي النبي ايليا ﴾ ثم تمتد الطريق الى ان تصل الى بقية قناة قديمة مبنية بالحجارة والكلس ربما كانت من بقايا الاقنية التي بناها هيرودس او ارخيلاوس ابنه لجر الماء الى اريحا . وعندها تترك المركبة وتتسلق التلال الى يسار الطريق فتعلو في نحو دقيقتين رابية تشرف على واد عميق هائل تكاد جدرانه الصخرية تكون عمودية يدعى وادي القِلْط فيه مسيل ماء يؤكدون انه نهر كريث الذي قيل ان النبي ايليا لجأ اليه فرارًا من وجه اخاب ملك اسرائيل وصارت الغربان تعوله هناك (ملوك ص ١٧ ع ٣ـ٨) وفي وسط جانب ذلك الوادي الايسر بنى الروم الارثوذكس ديرًا باسم يوحنا المعمدان . وبجانب الدير مغارة في الصخر يُصعد اليها بسلم يظنون انها المغارة التي اختبأ فيها النبي ايليا . وفي جانب الوادي الآخر نقر ارخيلاوس قناة لتحويل ماء النهر الى الاقسام العلوية من غور اريحا . وبعض هذه القناة منقور في الصخر وبعضها مبني بالحجارة والكلس والرمل . وقد رممها الصليبيون وانتفعوا بها

وبعد نحو ساعة تصل الى اريحا

اريحا

او مدينة النخل

هي واقعة في جهة غور الاردن الجنوبية . تحت سطح البحر بتسعماية قدم . ولذلك تشتد فيها الحرارة في فصل الصيف الى درجة لا تطاق . وهي تابعة للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك السلطاني) ما عدا القليل منها . وتدير شؤونها الزراعية شعبة ملحقة بمديرية الاملاك الخاصة بالقدس . وفيها اربع « لوكندات » معدة لقبول السياح الغرباء . غير انها لا تُفتح في الصيف وذلك لشدة الحر ولعدم وجود مسافرين . وفيها ايضًا مضيف روسي اما اهلها فهم من سبط الغوارنه (سكان غور الاردن) وهم قوم نحاسيو اللون يميلون

الى الراحة لان الحر الشديد يحل عزائمهم فيقعدهم عن العمل والجد . ولذلك تراهم في فقر شديد وسذاجة كلية . وهم يسكنون بيوتاً مصنوعة من الاخشاب والقصب والطين وقلما يبنون بالحجارة

ويقول اكثر الرواة ان اريحا الصليبية التي كانت يومئذ نضرة بكثرة اشجارها وبساتين قصب السكر التي كانت فيها كانت في موقع هذه . وقد بنى فيها الصليبيون في ذلك الزمن كنيسة وديراً باسم استفانوس . وحصنوها بقلعة . واما اليوم ففيها كنيسة ارثوذكسية يزعمون انها في مكان بيت زكا العشار . وفيها كثير من شجر الموز والعنب الذي ينضج ثمره قبل البلدان الباردة العالية . ولذلك يُباع باثمان غالية . وفيها غابات من النجم النبك وهو نبت وادي الاردن الكثير . ويظنون ان اكليل المسيح ضفر من شوكه

اما اريحا القديمة فقد كانت على زعم يوسيفوس وغيره من الكتبة الاقدمين واقعة على التلال القائمة الى جانب عين السلطان على مسافة نحو ميلين الى الشرق من اريحا الحالية . وهي التي جاءها الجاسوسان الاسرائيليان والتي سقطت اسوارها بدون حرب امام الجيوش العبرانية (يشوع ص ٦) والتي اعاد بناءها حيئيل البيتئيلي فوضع اسسها بابيرام بكره ونصب ابوابها بسجوب صغيرة (ملوك ١٦ : ٣٤) وكانت من نصيب سبط بنيامين . غير ان مملكة اسرائيل الشمالية استولت عليها بعد انقسامها عن اختها في ملك رحبعام . وبقيت في حوزتها حتى الاسر البابلي . وقامت فيها في غضون ذلك مدرسة للانبياء . اما اريحا الرومانية التي يرجح الجمهور انها كانت على مسافة نحو ميل وربع الى الجنوب من عين السلطان فقد قيل ان اليهود بنوها بعد ما رجعوا من الاسر البابلي وحصنها بخشيد قائد جيش ديمتريوس ابن سلوقس بعد واقعة بيت حجلا مع المكابيين . ومر فيها بومبيوس في طريقه من بيت شان الى القدس . وجعلها غابيوس بعد ان سلخ الحكم من ايدي اليهود مركز قنصلية رومانية . ووهبها انطونيوس قيصر لكليوباترا التي باعتها من هيرودس الكبير فاعاد بناءها بعد ما كان خربها في بداءة ملكه وزينها بالابنية الكبيرة الشائقة التي سماها باسماء اصحابه منها قلعة كيبروس على اسم والدته التي كانت تصرف فصل الشتاء فيها . واليها جمع كبراء الامة اليهودية لما ثقل مرضه واوصى اخته بقتلهم يوم وفاته كما قيل ليعمّ الحزن والنواح الامة كلها في ذلك اليوم . غير ان اخته اطلقت سراحهم حال موته فكان يوم فرح عظيم شامل « يوسيفوس حروب اليهود كتاب واحد فصل ٣٣ قطعة ٦ » وخلفه ابنه ارخيلاوس فحصّن القلعة وحسنها وجرّ المياه الى المدينة من قرية تُدعى نيريا وزينها

بساتين البلسان والحناء والبلسم وغرس فيها كثيراً من النخل . وقد قال يوسيفوس انه كان فيها غابة من شجر النخل الغض تبلغ مساحتها مائة ستاديا

ولقد كان اليهود القادمون للعيد الى اورشليم يجتمعون فيها من الجليل ومن بيريا الواقعة شرقي الاردن . وقد مرّ فيها السيد المسيح مرة وتلمذ زكا « لوقا ص ١٩ » وترك فيها فسباسيانوس الفيلق العاشر من جنده لوقاية تلك المقاطعة من الثائرين . وفي بدء القرن الرابع صارت كرمي اسقفية و بنى فيها جوستينيانوس كنيسة للعذراء . ولقد قال بعضهم ان اريحا كانت حصن اليهودية ومفتاحها . والحقيقة خلاف ذلك لاننا لم نعثر اثناء البحث في تاريخها على كون اهلها كانوا ينازلون اعداءهم ويحاربونهم او يثبتون على الاقل في الحصار امامهم . بل كانوا على الدوام اما يسلمون للاعداء او ينهزمون من امامهم . ولكنها احق بان تسمى مخزن اليهودية الكبير بسبب غناء اراضيها بالحاصلات ولان واردات وادي الاردن الخصيب كانت تأتي القدس ويافا بطريقها وتودع في غالب الاحيان في مستودعاتها

عين السلطان

عين السلطان على مسافة ميلين تقريباً الى الشرق من اريحا الحالية وهي العين التي قيل ان اليشع النبي ابرأها بوضعه الملح فيها « ملوك م : ١٩ ــ ٣ » وجاء يوسيفوس على ذكر ذلك في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٨ قطعة ٣ » قال بعض الكتبة ان بيت المرأة راحاب التي قبلت الجاسوسين فيه كان بقرب هذه العين . ماؤها ينبع من الارض في بركة مبنية حولها طولها ٩٠ قدماً وعرضها ١٨ قدماً . ودرجة حرارتها ٨٠ بمقياس فرنهيت . وعليها ثلاث مطاحن وهي تسقي المدينة الصغيرة و بساتينها النضرة

والى الغرب من هذه العين بقايا ٣ معاصر لقصب سكر ربما كانت من اثار الصليبيين و بالقرب منها عدة اقنية يغلب الظن انها من اقنية ارخيلاوس . وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من عين السلطان الى الشمال الشرقي من معاصر قصب السكر توجد عين النويعمه وعين الدوك وقلعة دوكس المذكورة في سفر المكابيين « ١٦ : ١٥ » وتصل من هناك في عشرين دقيقة الى دير الاربعين الذي يزعمون ان السيد المسيح صرف عنده مدة الاربعين يوماً صائماً . ومن على قمة الجبل الواقعة فوق الدير ورد في الانجيل ان الشيطان اراه جميع ممالك العالم ومجدها « متى ٤ »

البحر الميت

تسير المركبة ببعض الصعوبة في طريق طبيعية من اريحا اليه . وعند منتصف الطريق

تشاهد دير حجلا للروم الارثوذكس ربما بني على آثار قرية بيت حجلا القديمة التي كانت على الحد بين يهوذا و بنيامين والتي تغلب فيها سمعان واخوه يهوذا المكابيان على بخشيد قائد ديمتريوس

اما البحر الميت فيدعى في التوراة بحر لوط وبحيرة الملح والكتبة العبرانيون يدعونه بحر الاسفلتيتس وطوله ٤٧ ميلاً وعرضه يختلف من ثلثة اميال الى تسعة واعمق مكان فيه يبلغ الف وثلثمائة قدم. وارضه اقل من اليابسة انخفاضاً لانها اوطأ من سطح البحر بالف وثلثمائة قدم . وتطغو مياهه كثيرًا في ايام الربيع بسبب فيضان نهر الاردن والجداول الاخرى التي تصب فيه وبسبب قلة التبخير منه لضعف حرارة الشمس في ذلك الفصل من السنة . غير انها تتناقص كثيرًا في الصيف بسبب شدة حرارة الشمس التي تمتص منها اكثر كثيرًا من المياه المنتهية اليها . ويؤكد ذلك الادلة التي اكتشفها علماء الطبيعة بكون سطح هذا البحر كان اعلى كثيرًا في الاعصر الغابرة مما هو الان . وماؤه أجاج واثقل مياه الابحر المالحة . قال يوسيفوس ان فسباسيانوس ربط ايدي وارجل بعض الاسرى الذين لم يكونوا يحسنون السباحة وطرحهم فيه فلم يغرقوا . وقال ايضاً انه (اي البحر) كان يقذف مادة من الحمر كانوا يستعملونها لطلي السفن ولحاجات اخرى . وقد كانت السفن كثيرة في هذا البحر واما اليوم فلا يوجد فيه سوى واحدة وضعتها الحكومة لتسهيل المواصلات بين الكرك ومدينة القدس . اما العناصر الموجودة في الماء فهي كلوريد الصوديوم وكلوريد المغنيسيوم وكلوريد الكلس و بعض عناصر اخر ثانوية . وقال يوسيفوس ايضاً ان المدن الخمس التي كانت على هذا البحر وهي صدوم وعامورة وادمة وصبويم وجبويم (تكوين ص١٤) كانت آثارها ظاهرة في ايامه

نهر الاردن

ولئن كان هذا النهر اكبر انهر سوريا الا انه يُحسب جدولاً بالنسبة الى انهر العالم الكبيرة كنهر الامازون والمسيسيبي والتيمس . غير انه يفوقها شهرةً لوجوده في ارض الميعاد المقدسة ولتعلقه بعدة حوادث دينية . وله ثلاثة ينابيع رئيسية احدها حاصبيا و يقال له الحاصباني والاخر عند بانياس يخرج من مغارة الاله بان الذي اتخذت البلدة اسمها منه . والثالث يخرج من تحت تل القاضي وهو حد مملكة اسرائيل الشمالي . وتتحد هذه الانهر عند رأس سهل الحولة الشمالي وتصب في بركة الحولة المدعوة في التوراة مياه ميروم فبحيرة طبريا فالبحر الميت . ويصب في هذا النهر عدة جداول اخر بعضها دائم كنهر اليرموق الذي ينضم

اليه بعد خروجه من بحيرة طبريا . وعليه بقايا عدة جسور رومانية بعضها خرب والبعض الاخر لم يزل قائماً كجسر بنان يعقوب بقرب صفد وجسر الجامع بقرب طبريا . ويعلو مخرجه عن مصبه ثلثة الاف وثلثمائة قدم ولذلك يسير بسرعة زائدة وله تعاريج كثيرة حتى ان مسافة مجراه تعدل ثلاث مرات المسافة الكائنة بين مخرجه ومصبه البالغة نحو ١٢٥ ميلاً . وتكثر اشجار الدفل والقصب على ضفتيه . وفيه من انواع اسماك بحيرتي الحولة وطبريا غير انها اذا سيقت بطغيان الماء الى البحر الميت تموت حالما تدخله

﴿معبر الاردن﴾ اما المكان الذي يُظن ان الاسرائيليين عبروا منه الى ارض الميعاد فهو على مسافة ساعة من البحر الميت تسير اليه المركبة في طريق غير ممهدة . وهناك يزعمون ايضاً ان ايليا ضرب الماء بردائه فاوقفه وقطع على اليبس الى الضفة الاخرى وصعد بمركبة نارية الى السماء (٢ ملوك ص ٢) وكذلك يوحنا المعمدان كان يُعمد فيه فتكون معمودية المسيح قد جرت هناك . ولذلك شبه المسيحيون نهر الاردن بنهر الموت وعدوا عبور الاسرائيليين اياه الى ارض الميعاد والحوادث الاخر التي ذكرناها رمزاً الى انتقال المسيحي من عالم الخطيئة الى دار البقاء . فلذلك تراهم يبالغون في احترامه و يتواردون من جميع الانحاء الى زيارته والاعتماد فيه و ينقلون من مائه الى البلدان القصية ليمزجوه بالماء الذي يعمدون فيه اطفالهم تبركاً . قال انطونيوس في القرن السادس عشر ان ضفتي النهر كانتا مبلطتين في هذا المكان وان صليباً خشبياً كان منصوباً في وسط الماء

﴿مأوى يحيى﴾ بالقرب من هذا المكان دير ماري يوحنا للروم الارثوذكس يُقال ان القديسة هيلانة بنته فوق الكهف الذي كان يوحنا المعمدان يأوى اليه لما كان يكرز ويعمد في برية اليهودية بقرب الاردن . غير ان الاقوال الحقة تشير الى كون جوستينيانوس بناه فخرب فاعيد بناؤه في القرن الثاني عشر . ويوجد فيه بقايا ابنية قديمة وبقايا نقوش بالفسيفساء

﴿الجلجال﴾ محطة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم النهر لم تزل حقيقة موقعها مجهولة غير انها لا بد ان تكون متوسطة بين النهر واريحا لان التوراة تقول انها في تخوم هذه

﴿غور الاردن﴾ يليق بنا قبل الفراغ من هذه المقالة ان نذكر شيئاً عن حقيقه وادي الاردن مصدر ثروة فلسطين اذ يملأ ايدي الفلاح خيراً من دون تكليفه عملاً شديداً كباقي الاراضي . ويمر في عرضه على جانبي الاردن عدة مشارع وجداول بحيث يتيسر ري اراضيه بسهولة . وتنمو فيه كل اشجار البلدان الحارة نمواً سريعاً وتنضج اثمارها بسبب الحر قبل الاوان فتباع باسعار غالية . ويطلق اسم الغور على القسم الواقع بين

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً واوسع نقطة فيه عند نمرين تبلغ نحو ١٠ اميال

اما الاقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير . وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . واطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدباء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الاكبر منه الآن تابع للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتديرشؤونه الزراعية مديرية بيسان . ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير اراضيه واستغلالها بعد ان كانت مهملة ان اسباب العمران لا تتوفر الا بتوفير اسباب الامن والراحة كمد طريق مركبات تتصل بطريق القدس عند اريحا وبطبريا من الطرف الآخر . وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة الى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فرأينا انها اقتصرت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتمهيد الطويق حواليها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الاردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمره . ويعسر السفر في الغور في ايام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكون الارياح فيعمي الابصار ويصم الاذان وافضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا الى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرأناها لبعضهم منذ مدة وهي قوله في كلامه عن احدى المجلات ما معناه

« ان تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي ان تكون في مكتبة الكاتب دائرة للمعارف الاوروبية (انسيكلو بيذيا) لتكون مجلته او جريدته علمية تاريخية صحية فلسفية زراعية سياسية صناعية . اذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ .. »

فجواب المنصف على ذلك ان هذا الانتقاد في محله اذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتركهم « الاخصاء » (انصراف كل عالم الى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمعقول معاً . فيكون احدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً ادبياً فيلسوفاً في وقت واحد مع